كمائن واشعال حرائق

شهدت الاراضي المحتلة العام ١٩٦٧ مسارين متمايزين خلال الفترة الواقعة بين ١٦ أيلول (سبتمبر) و١٥ تشرين الاول (اكتوبر)، حيث اتسمت مرحلة الاسبوعين الاولين باستمرار نمو حجم العنف وحدّته بين قوات الاحتلال الاسرائيلية والمواطنين الفلسطينيين، وبمضيّ الجيش بتطبيق اجراءاته على أوسع نطاق، كعمليات الدهم؛ أمّا المرحلة الثانية، أي الاسبوعين الاخيرين من تلك الفترة، فقد شهدت المزيد من العنف أيضاً، خصوصاً الحملة الاسرائيلية ضد بيت ساحور، ممّا أثّر في مجمل النشاط المعادي في بقية انحاء الضفة الفلسطينية وقطاع غزة. وفي هذه الاثناء، تجددت الصدامات الحدودية مع المقاتلين المتسللين، فيما أعلنت السلطات الاسرائيلية الاحصاءات عن حصيلة نشاطها في جنوب لبنان خلال السنة الماضية.

سياسة القتل

من الواضح، ان الوضع الميداني داخل الارض المحتلة قد استقر على أسس معيّنة، منذ آب (اغسطس)، شملت، على الجانب الاسرائيلي، مجموعة أساليب، أهمها: حرية اطلاق النار على الملثّمين، حتى لو كانوا عزّلاً من السلاح، وحق استخدام السلاح في اثناء تنفيذ الاعتقالات، وعمليات الدهم المستمرة للقرى والمخيمات والمدن، والاعتقال الجماعي، والاغتيال الانتقائي. ومن ضمن الاجراءات، أيضاً، التنكّر بالثياب المدنية لمطاردة الناشطين الفلسطينيين، وتطبيق تكتيكات خاصة في اثناء الدهم، لكشف واعتقال الشبان العاملين في اللجان الشعبية والشبيبة والقوات الضاربة، وتنظيم الدوريات القتالية والمجوقلة (بالطائرات المروحية) لتعقّب المطاردين على الجبال. وقد أدّت هذه السياسة الى زيادة عدد المواجهات وعدد الاصابات الفلسطينية زيادة مطردة، كما اتضح، مثلاً، من خلال الارتفاع الشديد لعدد الجرحى، ولنسبة المصابين بينهم بالرصاص (بدلاً من الضرب أو الاختناق).

استناداً الى ما سبق، تعود غالبية الممارسات الاسرائيلية، خلال الآونة الاخيرة، الى هذه السياسة العامة، ممّا يعني ان المرحلة السابقة من الممارسات العشوائية والطائشة قد مالت الى الزوال، ليحل مكانها العنف المنتظم. وقد تجسّدت تلك السياسة باستشهاد ٣٢ مواطناً فلسطينياً (احدهم معتقل مسنّ توفي نتيجة المرض، في معتقل انصار ـ ٣) بين ١٦ أيلول (سبتمبر) و١٥ تشرين الاول (اكتوبر)، حسب الاحصاء اليومي، ممّا رفع العدد الاجمالي للشهداء، منذ بدء الانتفاضة، الى ٧٢٥. وقد لاحظ المركز الاسرائيلي لحقوق الانسان ان ٢٢ مواطناً استشهدوا في أيلول (سبتمبر)، تسعة منهم دون سنّ السادسة عشرة (**فلسطين الثورة**، نيقوسيا، ١٥/١٠/١٩٨٩). غير ان الرقم الفعلي كان أعلى من ذلك. كذلك أكدت المصادر الغربية استشهاد ٢٠ فلسطينياً خلال الاسبوعين الاولين من تشرين الاول (اكتوبر) فحسب (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ١٨/١٠/١٩٨٩). وبلغ العنف القمعي ذروته في مناسبات عدة؛ اذ سجّل كل من الايام ١ و١٠ و١٣ تشرين الاول (اكتوبر) سقوط أربعة فلسطينيين شهداء.

الّا ان حدّة العنف ظهرت بوضوح أكبر من خلال ارتفاع عدد الجرحى، وهو المجال الذي يعكس رفع القيود عن الممارسة العسكرية الاسرائيلية. وعلى الرغم من عدم توفّر الاحصاءات الدقيقة، يبدو ان المعدل اليومي لسقوط الجرحى هو ٣٠ ـ ٤٠، وربما أكثر من ذلك، علماً بأنه ارتفع الى ٧٧ في العاشر من تشرين الاول (اكتوبر)، على سبيل المثال. وممّا يدل على حجم الاصابات هو الاحصاء الذي قدّمته وكالة «اونروا» في مطلع ذلك الشهر، الذي